

فى منطقة الصدى الباهت لذلك الصوت مما يهدده بفقد أصالته ، كما يفقد المتلقى أدنى صور الحماس له، فالأصل أو كى بأن يُقرأ وأن تعاد قراءته ، بدلا من مسخه وتشويهه من خلال الصورة المكررة ، وعندئذ يصح لنا اتهام المعارض بفقد حرارة التجربة واختفاء خصوصيته الفردية فيها ، مما قد يدمر عالم المعارضات الشعرية ، أو يفسد الأحكام الرابضة حولها .

ذلك أن التجربة الفردية يجب أن تظل دافعا أساسيا للشاعر لأن يبحث عن موضوع معارضته ، أو أن يتوقف طويلا عندما يمكن أن يعارضه إذا ما تشابهت معه تجربته ، أو اتسق معه واقعه النفسى فى ظرف ما .

ومن المعروف - على المستوى النقدى - أن حالة من التوتر والقلق تنتاب الشاعر حين يقصد إلى إسقاط تجربته ، ويبدأ فى معالجتها تصويراً ، فإذا هو يجد فى البحث عما يعادلها موضوعيا فى عالم الأشياء ، ومن هنا يأتي اختياره لشريحة بعينها تكون هى المشجب الأول الذى يعلق عليه همومه ، أو لنقل يكشف من خلاله عن حجم تجربته على نحو ما نعرفه مثلا عن «إيوان كسرى» ، وكيف أحاله الباحث إلى معادل موضوعى لتجربة اليأس والكآبة التى عاشها فى زحام هموم الشيب التى أحاطت به ، ونالت منه نفسيا ، فوجد ماضيه فى ماضى الإيوان ، وكذا حاضره فى حاضر ذلك الإيوان ، حتى صار الإيوان بكل تاريخه بمثابة معادله الموضوعى الذى يكاد يتوحد معه أو يهدأ من خلاله ، أو يسقط عليه تجربته ، فأنت تقرأ تاريخ الإيوان موزعاً بين موجب وسالب ، ومن خلاله تستقرئ توزع تجربة الشاعر ذاتها ، وتتوقف عند أبعادها التى أسقطها من خلال زحام صورته بين موجب وسالب أيضا .

وبذا يأتي الموقف الفردى للشاعر فى سياق تجربته دافعا أساسياً إلى مثل هذا البحث الدائب عن المعادل ، وربما وجد الشاعر معادله جاهزا فى قصيدة قديمة تذكره بها حقائق واقعه فيقف عليها ، أو يحاول معارضتها ، ليحكى من خلالها واقعه وتجاربه وشخصه ، كما يحكى أيضا أبعاد الفن والنفس كما عكستها القصيدة المعارضة .

وهنا - أيضا - يجب الاعتداد بالبحث وراء خصوصية التجربة ، والتنقيب عن معالم تميزها ، وسر بقائها ، وعدم اندثارها فى زحام صور مطروقة جاهزة ، وإلا دخلنا أياً من أبواب السرقات الأدبية ، وهو موضوع آخر يختلف - جوهريا - عما نقصد إليه فى عالم المعارضات - كما رأينا - فليس ثمة حرج لدى الشاعر من أن ينبه أو أن يشير إلى أنه سيعارض فلانا